

المبحث الأول

تعريف الملائكة وحقيقتهم
ومادة خلقهم

obeikandi.com

وجوب الإيمان بالملائكة وصفاتهم الخلقية والخلقية

أولاً: الملائكة لغة وشرعاً:

١ - الملائكة لغة:

جمع ملك، وأصله " مَأْلَك "، وقيل " مَلَأَك " على وزن مفعّل، فنقلت حركة الهمزة إلى اللام، وأسقطت، فوزن " ملك " : فعل، وقيل مأخوذ من " لَأَك " إذا أرسل " فمَلَأَك " مفعّل، ثم نقلت الحركة وسقطت الهمزة فوزن " ملك " مفل وقيل غير ذلك^(١).

والهاء في " الملائكة " مزيدة لتأنيث الجمع أو للمبالغة^(٢). وقيل مقلوب " مَأْلَك " من الألوكة، وهي الرسالة، قال الشاعر:

فلست لأنسى ولكن لمألك :: تنزل من جو السماء يصوب^(٣)
وملأك مفعّل من لَأَك إذا أرسل والألوكة والمألك والمألكة، والمألكة الرسالة.

وقال لبيد:

وغلام أرسلته أمه :: بألوك فبذلنا ما سأل
يقال: ألكني، أي: أرسلني^(٤).

فعلى هذا يكون أصل الاشتقاق من الألوكة وهي الرسالة، فالملائكة عليهم السلام هم رسل الله بما يريد إلى خلقه، وقد سماهم عز وجل بذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ

(١) المصباح المنير (١ / ١٨) القاموس المحيط (٣ / ٣٢٧).

(٢) لسان العرب (١٠ / ٤٩٦).

(٣) الواسطة بين الله وخلقه د. المرابط الشنقيطي ص ١٠٥.

(٤) في الملائكة المقربين، د. محمد عقيل ص ١٤.

ذَرَعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ [هود: ٧٧].

وقال تعالى: {قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾} [الذاريات: ٣١].

وهذا الذي عليه عامة أهل اللغة والمفسرين^(١).

وقيل: أصله الملك وهو الأخذ بقوة وقيل: مخفف من مالك، وقيل: سموا بذلك لتوليهم تدبير ما أمرهم الله به في السماوات كما يسمى من يتولى تدبير شؤون الناس في الأرض ملكاً.

والقول بأن اشتقاق الاسم من الألوكة وهي الرسالة أقرب وأصوب من جهة اللغة والمعنى، أما المعنيان الآخران فهما من صفاتهم عليهم السلام^(٢).

٢- الملائكة شرعاً:

هم أجسام علوية قائمة بأنفسها، قادرة على التشكيل بالقدرة الإلهية، ذوو قدرات خارقة لا حصر لهم، لا يأكلون، ولا يشربون ولا ينعسون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرهم وليس لهم من خصائص الربوبية، والألوهية شيء^(٣).

ثانياً: حقيقة الملائكة كما وردت في الكتاب والسنة:

الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أن الملائكة خلق من خلق الله سبحانه وتعالى، خلقهم لعبادته، كما خلق الجن والإنس وهم أحياء عقلاء ناطقون، وعالم الملائكة عالم غير الجن والإنسان، وإن

(١) المصدر نفسه ص ٤١.

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٥.

(٣) الواسطة بين الله وخلقته ص ١٠.

كان الجميع خلق الله لكنه عالم كريم طاهر اصطفاه الله في الدنيا لقربه ولتنفيذ أوامره الكونية والشرعية، وجعل الله الملائكة رسله وسفرائه إلى خلقه لإبلاغ وحيه، فأكرمهم الله بهذا ووصفهم بذلك، فقال سبحانه: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾}

[الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

فأبان الله بهذه الآيات حقيقة الملائكة وأنهم خلق كريم خلقهم الله لعبادته ورفع مقامهم وأكرمهم لكنهم مع هذا الإكرام لم يخرجوا عن مقام العبودية ولا يستطيعون ولو ادعى أحدهم ذلك مع علو مقامه لعاقبه الله بالنار^(١).

ثالثاً: منزلة الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد ولا يقبل إلا بتحقيقه، والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، والأمر بالإيمان بهم والتحذير من الكفر بهم وبيان أحوالهم مع الله ومع الناس وبيان مراتبهم وأعمالهم، فتارة يقرن اسمه باسمهم ويجعل الإيمان به مستلزم بهم وأن البر لا ينال إلا بالإيمان بهم^(٢).

- قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ

(١) في الملائكة المقربين ص ١٥.

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٦.

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ { [البقرة: ١٧٧].

- وقال تعالى: {ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } {١٨٥} [البقرة: ٢٨٥].

- وقال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ} [آل عمران: ١٨].

- وقال تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦].

- وقال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} {١٨} [البقرة: ٩٨].

- وقال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: ١٧٢].

- وقال تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ} [الحاقة: ١٧].

- وقال تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} [الرعد: ٢٣].

وغير ذلك من الآيات الكريمة.

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة يأتي ذكرها في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

إن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره

وشره^(١) واجب إجمالاً لا يصح إيمان عبد إلا بذلك وكلما ازداد الإنسان علماً بتفاصيل هذه الأمور لزمه من الإيمان بحسب ما بلغه من ذلك وهو بذلك يزداد إيماناً^(٢).

- قال تعالى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: ١٢٤].

- وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا} [المدثر: ٣١].

والإيمان الواجب ينال بالعلم فتعلم هذه الأمور على وجه الإجمال فرض عين على كل مسلم ومسلمة^(٣)، والإيمان المجمل بالملائكة يتضمن عدة أمور منها:

١- الإقرار بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله خلقهم الله لعبادته وأن وجودهم حقيقي وعدم رؤيتنا لهم لا يدل على عدم وجودهم، فقد رأى النبي ﷺ بعضهم بصورته الحقيقية، ورآهم الأنبياء والصالحون والصحابة وهم متشكلون بصورة البشر وهم رسل الله إلى خلقه بما شاء من وحي وغيره.

٢- إنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله وإثبات أنهم عباد الله مأمورون مكلفون لا يقدرّون إلا على ما أقدرهم عليه، وأن الله أكرمهم ورفع مقامهم عنده وفضل بعضهم على بعض وهم مع هذا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً من دون الله وإذا كانوا كذلك فلا يجوز أن يصرف لهم شيء

(١) في الملائكة المقربين ص ١٩، مسلم (١ / ٨).

(٢) المصدر نفسه ص ١٩.

(٣) المصدر نفسه ص ١٩.

من أنواع العبادة فضلاً أن يوصفوا بصفات الربوبية.

٣- الإيمان بما ورد في حقهم من الكتاب والسنة.

٤- الإيمان بمن سمي الله لنا منهم فنقر بهذه الأسماء وأن الله ملائكة منهم جبريل وميكائيل، فكل من سمي الله لنا وجب علينا الإيمان باسمه ومن لم يسم لنا نؤمن به إجمالاً^(١).

فهذا هو الإيمان المجمل بهم عليهم السلام وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة ويجب عليهم أن يتعلموا هذا ويعتقدوه^(٢).

- لطيفة:

نلاحظ في جميع النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي تخبر عن وجوب الإيمان بالملائكة، نجد أن الإيمان بالملائكة مقدم في كل هذه النصوص على الإيمان بالكتب السماوية والرسل صلوات الله عليهم، فليس معنى هذا التقدم أنه نوع من التفضيل فليس هناك من الملائكة على الإطلاق - بما فيهم جبريل عليه السلام - من هو أفضل من سيدنا محمد ﷺ وهو من الرسل ولكن التقديم هاهنا - في هذه النصوص للملائكة على الكتب السماوية والرسل - لأنه لا يَحْدُث ولا يقع إيمان بالكتب السماوية إلا بعد الإيمان بالملائكة، لأن الكتب تنزل عن طريقهم، فكان الإيمان بهم من البديهي قبل الإيمان بما يأتون به من عند الله تعالى وكذلك الرسل، فلا يؤمن أحد من البشر برسول إلا وهو يعلم أن الله بعث هذا الرسول، وكلفه عن طريق الملائكة، فكان الإيمان بالرسل يستلزم الإيمان بالملائكة، الذين هم الوساطة بين الرسل وبين الله تعالى، ولهذا

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٢١.

كان تقديمهم وتقديم الإيمان بهم على الكتب والرسل^(١).

رابعاً: خلقهم:

قال ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ»^(٢)، وأما متى خُلقوا؟ فالله تعالى لم يخبرنا بذلك ولكننا نعلم أن خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر عليه السلام، فقد أخبرنا الله أنه أعلم الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠].

والمراد بالخليفة آدم عليه السلام وذريته وأمرهم بالسجود له حين خلقه: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ} [الحجر: ٢٩]^(٣).

خامساً: هل كان إبليس من الملائكة؟

اختلف العلماء في جنس إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن؟ وذلك لورود الآيات القرآنية باستثنائه من الملائكة في مواضع من القرآن عند التعرض لسجود الملائكة لآدم عليه السلام، قال تعالى:

- وقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} [الأعراف: ١١].

- وقال تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} [٧٣] إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [ص: ٧٣، ٧٤]. وغير ذلك من الآيات وهي تدل على استثنائه من الملائكة وقد جاءت آية سورة الكهف مصرحة بأن إبليس من الجن.

(١) العقيدة الصافية، سيد سعيد ص ٧٣.

(٢) مسلم (٢٢٩٤ / ٤).

(٣) دراسات في التفسير الموضوعي د. زاهر الألمعي ص ٢٢٢.

قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠].

وإزاء هذه الآيات فقد انقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

- الفريق الأول: ويرى أن إبليس من الملائكة والاستثناء الوارد في الآيات إنما هو استثناء متصل.

- والفريق الثاني: ويرى أن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما هو من الجن والاستثناء في الآيات إنما هو استثناء منقطع^(١).

ولقد اخترت القول القائل بأن إبليس لم يكن من الملائكة وذلك لقوة الأدلة والتي منها:

١ - قوله تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠].

إن الله صرح في هذه الآية الكريمة بأن إبليس كان من الجن، والجن غير الملائكة، فلا يجوز أن ينسب إلى غير ما نسبته الله إليه^(٢).

وقد علل سبحانه، فسق إبليس عن أمر ربه بكونه من الجن ففرق - سبحانه - بينه وبين الملائكة، وهذا ظاهر في أنه ليس منهم^(٣).

قال الألوسي: {كَانَ مِنَ الْجِنِّ} كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيد استثناء اللعين من الساجدين، فكأنه قيل: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان أصله جنيًا وهذا ظاهر في أنه ليس من الملائكة^(٤).

(١) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن البراك ص ٤٧٦.

(٢) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ص ٤٧٩.

(٣) آيات العقيدة، خالد عبد الله الدميحي (١ / ٥٢٤).

(٤) روح المعاني (١٥ / ٤٢١ - ٤٢٢).

وقال الشنقيطي: وقوله في هذه الآية الكريمة: {كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن، وقد تقرر في الأصول في مسلك النص وفي مسلك الإيماء والتنبيه: أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل كقولهم: سرق فقطعت يده، أي لأجل سرقة، وسها فسجد، أي لأجل سهوه ومن هذا القبيل قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: ٣٨]. أي لعله كينونته من الجن لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة، لأنهم امتثلوا الأمر وعصا^(١).

٢- أن إبليس لو كان من الملائكة لما عصى الله عندما توجه إليه بالأمر بالسجود لآدم، لقوله تعالى عن الملائكة: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: ٦].

٣- أن الله أخبر أن إبليس له نسل وذرية قال تعالى: {فَنَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف: ٥٠]. فإبليس وذريته يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، كما قال الحسن^(٢): ويأكلون ويشربون والملائكة لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون، فدل هذا على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة^(٣).

٤- أن الله أخبر أنه خلق إبليس من النار ولم يخبر أنه خلق الملائكة من شيء من ذلك، بل ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «خُلِقَتِ الملائكة من نور وخُلِقَ الجان من مارج من نار وخُلِقَ آدم مما وصف لكم»^(٤). وقد ورد التصريح في القرآن على لسان إبليس بأن الذي دعاه إلى عدم السجود لآدم هو أنه من النار وآدم مخلوق من الطين، قال تعالى: {قَالَ مَا مَنَّكَ عَلَى

(١) أضواء البيان (٤ / ١١٩).

(٢) تفسير الطبري (١ / ٥٢٦).

(٣) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ص ٤٨١.

(٤) مسلم (٣ / ٢٢٩٣).

تَسْجُدْ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

فالذي دعا إبليس لعدم السجود هو ظنه الفاسد أن النار أشرف من الطين^(١)، وأن المخلوق منها أشرف من المخلوق من الطين^(٢).

٥ - قوله تعالى: ﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَتَنَزَّلُكُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء: ٩١ - ٩٥].

قالوا: دلت هذه الآيات على أن لإبليس جنوداً، وأنهم جميعاً سوف يساقون إلى النار، وإبليس على رأسهم، في حين أن الملائكة لا جنود لهم، بل هم أنفسهم جنود لله تعالى^(٣).

٦ - قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبا: ٤٠]، قالوا: هذه الآية صريحة في الفرق بين الجن والملائكة، وأن الجن عالم آخر غير الملائكة، وإذا كانوا غير الملائكة لم يكن إبليس من الملائكة مع ما صرح به القرآن أنه كان من الجن^(٤).

٧ - إبليس لم يكن رسولاً من الله لعباده أبداً، وكان الملائكة رسل الله لعباده دائماً^(٥)، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ النَّاسِ إِنَّا لَنَسْمِعُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥].

* * *

(١) تفسير روح المعاني (١ / ١٢٠).

(٢) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ص ٤٨٠.

(٣) آيات العقيدة (١ / ٥٢٦).

(٤) آيات العقيدة (١ / ٥٢٥).

(٥) الإنسان وعالم الملائكة د. أحمد شوقي ص ١١٧.